أثر القرآن الكريم في شعر الفراهي

The impact of the Quran in the poetry of the al-Farahi

د. عامر الجراح – جامعة ماردين أرتقلو
Amer Aljarah-Mardin Artuklu univercity
د. محمد خالد الرهاوي – جامعة قطر
Mohammad Khaled Alrhawi- Qatar univercity

ب المرسل: alrahawd@gmail.com الارسال: 2019/10/10 القبول 2019/10/23. النشر:10 مارس 2020
E . ISSN : 506-2602X - ISSN : 2335 - 1969
صفحات البحث من : 93 إلى ....

الملخص:

يدرس البحث أثر القرآن الكريم في شعر الإمام عبد الحميد الفراهي، مهد بإشكالية البحث، ثم قدم لمحة عن حياته؛ ليتبين السبب في نشأته الدينية، ثم تناول المبحث الأول الأثر الفني للقرآن الكريم فيه، والذي تجلّى في الاقتباس، وقد تبين أنه لجأ إلى الاقتباس الحرفيّ، الذي جاء قصيراً أحيانا، وطويلا في أحيان أخرى، وإلى الاقتباس الذي غيّر فيه، وربما يكون التغيير يسيرا، إلى جانب الأشعار الأخرى التي جمع فيها ألفاظا من القرآن. وتناول المبحث الثاني أثر القرآن في اختيار موضوعات ذات طابع دينيّ إسلاميّ، وجعلها في ثلاث شعب: أولاهما في تمجيد الله والقرآن، والثّانية في الوعظ والتّحذير من الدّنيا، والثّالثة في الحديث عن أشراط الساعة، ثمّ ختم بالنتائج.

Abstract

The research studies the effect of the Holy Quran on the poetry of Imam Abd al-Hamid al-Farahi, paved the problem of the research, then gave a glimpse of his life to show the reason for his religious upbringing, then the first topic dealt with the artistic effect of the Holy Quran in it, which was manifested in the quotation, and it was found that he resorted to the literal quotation. , Which came at times short, long at other times, and to the quote in which it was changed, and the change may be easy, along with other poems in which he collected words from the Quran. The second topic dealt with the effect of the Quran on choosing topics of an Islamic religious nature, and made it into three divisions: the first in glorifying God and the Quran, the second in preaching and warning of this world, and the third in talking about the signs of the Hour, then stamping the results.

Keywords: Athar, Quran, Quonotation, Poetry, al- Farahi.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلمات المفتاحية: أثر، القرآن، الاقتباس، شعر، الفراهي.

إشكالية البحث:

تزخر شبه القارة الهندية بالشعراء والأدباء الذين نبغوا في الكتابة باللغة العربية بدءا من هارون بن موسى الملتاني وأبي عطاء السندي ومرورا بمسعود اللاهوري وعبد المقتدر الكندي الدهلوي قديما، ومن المتأخرين عبد الحي الحسني اللكنوي والد أبي الحسن الندوي، والشاعر المفلَّق والأديب البارع فيض الحسن السهارنفوري، والإمام الفراهي، وغيرهم كثيرون، وربما لا يكفي مجلد كامل لفهرسة تضم أسماءهم وترجمة يسيرة لهم، لكن رغم هذه الكثرة والتميز الذي اتسمت به كثير من تجاربهم الشعرية لم ينالوا في عالمنا العربي من الدراسة والاهتمام ما هم أهل له، بل ربما كانت الغالبية العظمى منهم لم يُسمع بأسمائهم على جلالة قدرهم علما وشعرا، ولست هنا في معرض الحديث عن تعدادهم أو تقديم إحصاءات بأسمائهم، ولا الحديث عن تجاربهم الشعرية، بل للحديث عن جانب واحد من شعر الإمام الفراهي الذي عايشت كتبه ولازمته سنوات طوالا، ونشرت بعضا منها ضمن سلسلة إحياء تراثه، وهو أثر القرآن الكريم في شعره.

عبد الحميد الفراهي، لمحة من حياته:

هو الشَّاعِرُ والأديبُ اللغويُّ والعلَّامة المُفسِّر الإمامُ عبدُ الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي؛ حميد الدين، الفراهيُّ، نسبة إلى قريتِه "فَريه" التي ولد فيها صباحَ يوم الأربعاء في السَّادِس من جمادى الآخرة عام 1280 هـ، وهي من قرى مديريّة أعظم كره التي تتبع للإقليم الشمالي من الهند، ويُسمَّى الآن ولاية أُتَّرابَراديش[1].

ولد الإمام عبد الحميد لأسرةٍ كريمةٍ ثريّةٍ، لها مكانتُها الاجتماعية، إذ إنَّ أهلَه من وجهاء منطقته وأعيانها، ولهم أيضًا منزلةٌ علميّةٌ، فقد كان ابنَ خالِ العلَّامة شبلي النُّعمانيِّ، كلُّ ذلك هيَّأ له أن ينشأ في رخاء من العيش، وأن يتفرَّغ لطلب العلم، بدأ تعليمَه أولا بقراءةِ القُرآن على يد المؤدِّب الشَّيخ أحمد علي، فحفظه وهو ابنُ عشر سنوات، ثمَّ تعلَّم اللُّغة الفارسيَّة في تسعة أشهر في منزلِه على يد مهدي حسن[2]، وبرع فيها إلى درجة أنَّه كتبَ في السَّادسة عشر من عمره قصيدةً بارى فيها الشَّاعر الفارسيَّ المشهورَ خاقاني الشّرواني (595 هـ)، فأبدع فيها، فوقعَت من العلماء والشُّعراء وغيرهم موقعَ الإعجاب والقَبول، ثم بدأ وهو ابن أربعة عشر ربيعًا بتعلُّم علوم العربية على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يد ابن عمَّتِه العلَّامة شبلي النُّعمانيّ من نحوٍ وصرفٍ ولغةٍ وأدبٍ وفلسفةٍ ومنطقٍ حتَّى برع فيها، وألَّف معظم كتبه باللُّغة العربيّة.

وفي هذه الفترة أيضًا تلقَّى الفقهَ من الفقيهِ المُحدِّث الإمامِ أبي الحسنات عبد الحي اللكنويِّ ١٣٠٤هـ بعد انتقاله إلى مدينة لكناؤ؛ مدينةِ العلم في الهند آنذاك، كما أَخذَ عن رائد المعقولات في زمانِه الشَّيخِ فضلِ الله بن نعمةِ الله الأنصاريِّ ١٣١٢هـ بعضَ كتب المعقولات.

ثُمَّ غادر لكناؤ إلى لاهور، وعاد إلى دراسة علومِ العربيَّةِ على يد الأديب البارع والشَّاعِر المُفلَّق آنذاك فيضِ الحسن السهارَنْفُوريّ ١٣٠٤ هـ وبعضِ كتب المعقولات، فقرأ عليه المعلقاتِ والحماسةَ وكثيرًا من دواوين الشُّعراء الجاهليّين حتى صارَ يقرضَ الشِّعر بالعربيَّةِ.

انتقل بعد ذلك وهو ابنُ عشرين ربيعًا إلى تعلُّم اللُّغة الإنكليزيَّة والعلوم الحديثةِ، فالتحقَ بثانوية كرنلغنج في مدينة الله آباد، ثُمَّ التحق بكلية عليكره، فدرس الفلسفة الحديثة على يد المستشرق الإنكليزي توماس أرنولد، وكذلك تعلَّم اللغة الإنكليزية فيها.

بدأ بعد ذلك بالتَّدريس في مدرسة الإسلام في كراتشي عاصمةِ السِّند مُعلِّمًا للعربيَّة والفارسيّة، واستمرَّ فيها تسع سنوات، كتب فيها وألَّفَ، ونَظَمَ كثيرًا من الأشعار، ثُمَّ اختير عام 1907م لتدريس العربيَّةِ في كليّة عليكره، وظلَّ فيها أعوامًا أيضًا، وكان المستشرق الألمانيُّ يوسفُ هارويز (1931م) أستاذَ العربيّة في تلك الفترةِ، فاستكملَ تعلُّمَ العربيَّة على يدي الإمامِ الفراهيِّ، وعلَّمَ الإمامَ الفراهيَّ اللُّغةَ العبريّة حتى صار ماهرًا فيها مُتقنًا لها يرجِعُ إلى مصادرِها مُباشرةً ولا سيَّما في بحوثِه القرآنيَّةِ، كما درس الحقوقَ مُدَّةَ سنتينِ، ولم يكمل تحصيلَه فيها؛ لنُفورِه منها[3].

انتقل من كلية عليكره إلى حيدر آباد الدكن رئيسًا لمدرسةِ دار العلوم العربيَّة الأميريَّة النِّظاميّة التي كانت تُخرِّج قضاةَ البلاد وولاتها، ثُمَّ سعى جاهدًا من أجل تأسيسِ الجامعة العُثمانيَّة التي تُدرِّس العلومَ الدِّينيَّة والعصريَّة باللُّغة الأورديَّةِ، فكان له ما أراد، كما أسَّسَ مدرسةً عربيَّة دينيَّة قريبةً من قريتِه سمَّاها مدرسةَ الإصلاح بهدف تدريس علومِ القرآن والحديثِ والفقه بعيدًا عن العصبيَّة المذهبيَّة، إضافةً إلى تعليم اللُّغة العربيَّة وعلومِها بأساليبَ معاصرةٍ وطرائقَ مختلفةٍ عن الطَّرائقِ التَّقليديّةِ غيرِ النَّافِعة، كما أسهم في تأسيس دار المُصنِّفينَ تذكارًا للعلَّامة شبلي النعمانيّ، وترأَّسَ لجنة المُديرينَ فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انقطع إلى التأمُّل والتَّدبُّر في القرآن الكريم والنَّظر فيه مستفيدًا ممّا تلقى من علومٍ دينيّةٍ ولغويّةٍ وعقليّة مُعملًا عقلَه وذوقَه، ففتحَ الله عليه بتدبُّراتٍ وأفكارٍ عظيمةٍ جعلتْه يشعرُ بالنَّدمِ على الوَقْت الذي أضاعَه في غيرِ تدبُّر القرآن، يقولُ في ترجمتِه لنفسه:"ولمَّا كانت هذه المشاغلُ تمنعُني عن التَّجرُّد لمطالعةِ القرآن المجيد، ولا يعجبُني غيرُه من الكتب التي مللتُ النَّظر في أباطيلِها غيرَ متونِ الحديث وما يُعينُ على فهم القرآن = تركتُ الخدمة، ورجعتُ إلى وطني وأنا بين خمسين وستين من عمري، فيا أسفًا على عُمرٍ ضيَّعتُه في أشغالٍ ضرُّها أكبرُ من نفعِها! ونسأل الله الخاتمةَ على الإيمان"[4].

يعدُّ القرآن الكريم مصدراً أساسياً مُلهماً للشعراء ذوي التوجُّهِ الإسلاميِّ عموماً، انطلاقاً من توظيفهم الشِّعرَ في خدمة مبادئ دينهم ونشرها، ومن جانب آخر فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يُنشّأ عليه معظم أبناء المسلمين – والفراهي واحدٌ من بينهم، فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات[5] – وتتكون ذخيرتهم اللغوية المثالية من مفرداته وأساليبه وبيانه، ؛ لذلك لا غرو أن نجد أثره في كتاباتهم وأشعارهم، من دون إرادة منهم أو بها، وكذلك الحال بالنسبة لمن نشأ في بيئة سياسية أو اقتصادية أو فنية، فإن مفردات المجال الذي نشأ فيه المرء لا يمكنه إلا أن يكون حاضرا في كلامه وكتاباته، ذلك أن هذه المفردات والثقافة هي التي شكلت ذخيرته اللغوية، وأسهمت في تكوينه العقلي وملكته اللسانية؛ ولهذا تجد أدوات الحِرَف في أشعار أهل الصنائع والمهن، وهذا ما سماه رومان جاكبسون بالوظيفة المهيمنة[6]، وهي التي تطغى أو تبرز على ما سواها من الوظائف الأخرى المحتملة دون أن يعني هذا انعدام هذه الوظائف، بل تظل في النص لكن بنسب تواترية متفاوتةٍ[7]، وقد بدا أثر القرآن الكريم في موضوعات شعر الإمام عبد الحميد الفراهي ومضامينه، كما كان الاقتباس منه على مستويات عدة: اللفظ المفرد، والتركيب، والجملة، والمعاني، كما تنوع هذا الأثر بين الاقتباس الحرفي الكلي، والاقتباس الجزئي، وتختلف درجة التصرف في كل منهما، كما بدا الاقتباس طويلا جدا أحيانا، وقصيرا أحيانا أخرى، وذلك حسب النص ومناسبته وموضوعه، وكلٌّ منها كان له أثره في شعره؛ إجادة أو تكلُّفاً.

المبحث الأوّل: أثر القرآن الكريم الفنّيّ في شعر الفراهي

يتجلّى الأثر الفنّي للقرآن الكريم في شعر الفراهي من خلال أسلوب الاقتباس، والاقتباس "أن يُضمَّن الكلامُ شيئًا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[8]، و نبيّن أن أحسن الاقتباس ما كان وجيزًا؛ يمرّ إلماحًا سريعًا، ولا سيّما إذا اقتصر على كلمة أو كلمتين بشرط أن تكون أو تكونا ذات حمولة معرفية كبيرة، أو ذات دلالات واسعة، ونشير هنا إلى الأساطير أو الأمثال التي تختزل كمًّا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كبيرًا من المعارف والدلالات في كلمات قلائل، وقد غاب ذلك من شعر الفراهيّ أو كاد، ونذكر من اقتباساته من القرآن الكريم حرفيًا أو الاقتباسات التي غيّر فيها:

أولا: الاقتباس الحرفيّ: وقد يكون قصيراً نحو قوله:[9]

{ولَيَنصُرَنَّ اللهُ من ينصرُهُ} فليَحتَمِسْ

اقتبسه من سورة الحجّ الآية الأربعين، وكذلك قوله:[10]

يا قومَنا إنْ تصبروا يأتِكم {نصرٌ من الله وفتحٌ قريبْ}

اقتبسه من سورة الصفّ الآية الثالثة عشرة، وقد يكون الاقتباس طويلا نحو قوله:[11]

فمَثَلُ الإيمانَ يلمعُ في قلبٍ سليمٍ للتّقى راعِ
مِثْلُ سراجٍ في زجاجٍ كمثـ ... ـلِ الكوكبِ الدّرّيِّ لمّاعِ
في وسْطِ مِشكاةٍ ويُوقدُ من زيتونةٍ في خيرِ إقطاعِ
من البلادِ لا بشرقيّةٍ ولا بغربيّةِ أصقاعِ
كادَ يُضيءُ زيتُها قبل أن تمسَّهُ النّارُ لأشماعِ
نورٌ على نورٍ ومن يَهْدِهِ ... الله لـه يهتدْ بإسراعِ

اقتبسه من الآية {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور: 35]، وكذلك قوله:[12]

ومَثَلُ الكُفّارِ أعمالِهِم كيَلمَعِ رقرقَ بالقاعِ
يحسبُهُ الظّمآنُ ماءً فيأ ... تيه بإهراعٍ وإيضاعِ
حتّى إذا ما جاءَه لم يجدْ شيئًا سويًّا غيرَ خدّاعِ
ووجدَ اللهَ لديهِ فوفْـ ... ـفاهُ جزاءَ الصّاعِ بالصّاعِ
ومَثَلُ الكُفرِ عماياتِهِ غطّتْ على قلبٍ وأسماعِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كظلماتِ البحرِ هاجتْ بهِ الـ ... أرواحُ من هـــوجاءَ زعزاعِ
يقمصُ بالفُلْكِ على لُجّهِ دفّـاعُ مــوجٍ بـعـدَ دفّـاعِ

في ليلةٍ سَحماءَ قد غمّها جمّـاعُ غيـمٍ فــوقَ جمّاعِ
فالجوُّ في ظلماءَ حالكةٍ والقلب في الـغـمّـاء والـهـاعِ
قد مطّتِ الظُّلمةُ أطرافَها والطّرْفُ لا يمطو مدى الباعِ
من أخرجَ الكفَّ ليبصرَها لــم يــرها مــا ذا بمُسطاعِ
فظلماتٌ بعضُها فوقَ بعـ ... ـضٍ طُبّقتْ ليستْ بشعشاعِ

مقتبس من الآيتين {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور: 39– 40]، ونجد هذا التطويل قد دفع الشاعر إلى التكلّف في سعيه للحفاظ على ألفاظ الآيات ما استطاع، فهذا نموذجٌ حيٌّ على أنّ تطويل الاقتباس والالتزام بحرفيّته ممّا يُفقد الشعر جماله وفنّيّته.

ثانيا: الاقتباس الذي غيّر فيه: وقد يكون التغيير يسيرا نحو قولِه:[13]

أعوذُ باللهِ العظيمِ الأفضالْ الغافرِ الذنبَ الشّديدِ الأنكالْ

أخذه من قوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ} [غافر:3]، فغيّر، فجعل الأنكال بدلًا من العقاب، وهذا تغيير يسير، وقد يكون التغييرُ كبيرًا واضحًا نحو قوله:[14]

عن النعماءِ مسؤولو ... نَ والسائلُ علّامُ

اقتبسه من قوله تعالى: {لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر: 8]، ومن ذلك قوله:[15]

فدمّرَها وسبى أهلَها وما كانَ إلّا كلمحِ البصرْ

من قوله تعالى: {وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر:50]، فوظّف ذلك للتعبير عن شدّة التدمير وسرعته.

وثمة أشعار أخرى جمع ألفاظا من القرآن ومن الشعر، ولا سيما الاقتباس غير الحرفي، من ذلك قوله في وصف الليل:[16]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليلي خُداريٌّ بهيمٌ سُدولُهُ منوطٌ بيومٍ قَمْطَريرٍ عَبوسِ

فأخذه من بيت امرئ القيس الشهير:[17]

وَليلٍ كَمَوْجِ البَحرِ أرْخَى سُدولَهُ عَلَيَّ بأنواعِ الهمومِ ليَبْتَلي

والملاحظ أنّ الفراهيّ في بيته المذكور آنفًا اقتبس من قول امرئ القيس ومن الآية: {إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان:10]، وهو توظيف جيّد وزيادة على تصوير امرئ القيس.

وثمّة كلمات استمدّها الشاعر من القرآن الكريم، والكلمات القرآنية كثيرة، ونجد أن الشاعر يختار كلمات ويوردها في سياقات تتناسب مع ورودها في سياقات أخرى مماثلة سواء كانت السياقات قرآنية أم كانت غير ذلك، وهو كثير في شعره، ويتّخذ من الاستدعاء وسيلة لربط الكلمات القرآنية التي خالف فيها تركيب القرآن الكريم ونذكر من ذلك قوله:[18]

أعـــــوذُ باللهِ العظيمِ الأفضالْ الغافرِ الذَّنْب الشَّديدِ الأنكالْ

من همزاتِ النّفس ذاتِ الإيغالْ ونفثاتِ كــلِّ بــاغٍ مُحتالْ

إنّ قوله: (غافر الذَّنْب) استدعى في ذهنه (شديد الأنكال)، وذلك من قوله تعالى: {غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقابِ} [غافر:3]، وقوله: (همزاتِ النفس) استدعى (نفثات الشيطان)، والآيات في ذلك كثيرة، وقد اجتمعت في سورة الفلق؛ يقول تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي العُقَدِ* وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ} [الفلق:4-5]، فالحسد همزة من همزات النفس، بل هو أخطرها، والنفّاثات في العقد هنّ الساحرات، والنفث يكون من شياطين الجنّ ومن تابعيهم من سحرة الإنس، وفي النهاية كلٌّ باغٍ ومحتالٌ. ومن الاستدعاءات التي أحدثت تناسبًا بين الكلمات:[19]

فالآنَ يا إخوانُ ما بالُكمْ قد مسّكمْ من الجهاد لُغُوبْ

فكلمة "لغوب" بمعنى الإعياء والتَّعَب استدعت الفعل "مسّ"، وذلك من قوله تعالى: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق:38]..

ومن تشبيهاته البديعة كذلك حديثه في قصيدته الوجدانية عن بيان حال الناس بأسلوب وعظيّ مؤثّر في قوله:[20]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما النَّاسُ إلّا مثلُ زرعٍ وشَطْئِهِ سيَهْمِدُ يومًا كالحَصيدِ اليبيسِ

فصورة فناء الناس هذه بناها على تشبيه الناس بالزرع وفنائهم بحصاده، وعلى المناسبة بين الزرع والشطء والهمود والحصيد اليبيس، وعلى الاقتباس من القرآن الكريم، فأخذ اللفظ من قوله تعالى في وصف النبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– والذين معه: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح:29]، ومن قوله تعالى: {فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ} [الأنبياء:15]، وأخذ المعنى من قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} [الكهف:45]، واختار تركيب الحصر للتوكيد والتخصيص، فخرج من كل ذلك بصورة بديعة.

المبحث الثاني: أثر القرآن في اختيار الموضوعات شعر الفراهي

كان الإمام الفراهي شاعرا وفيًّا لمبادئه في الدِّعوة إلى بلاغة أخلاقيّة كما يرى القارئ في كتابه "جمهرة البلاغة"[21]، فقد كان كلامه في أشعاره يتمركز حول الدّعوة ووصف الأحوال وما شابه ذلك من الموضوعات التي المهمّة التي لم تخرج عن مقاصد الشّاعر ذات الطّابع الأخلاقيّ، فإنْ وجدنا في قصيدته "ذكرى الأيّام"[22] ذكرًا للصَّبوح والخمر فإنّ ذلك من قبيل تقليد الشّعر الجاهليّ الذي تعمَّق فيه الشّاعر، فالشّعر الجاهليّ يُعدّ أساس الشّعر العربيّ، وهو النّموذج الأمثل الذي ينبغي أن يُحتذى، وكان تعمّقه فيه إثر رحلته في شرح (مفردات القرآن) وتفسيره[23]، ونستشف من أشعاره حضور موضوعات هادفة تتعلّق بموقف الشاعر من الأحداث التاريخيّة في زمانه، وبالدعوة إلى التفاؤل، واستشراف المستقبل بناءً على الأحاديث، ونجد الزهد والوعظ وروح الأخوّة الإسلامية، كما نجد العشق والشكوى والاعتبار؛ كأنّ الشاعر أراد أن يُعبّر عن نفسه وكلّ ما يعتريها بهذه القصائد الخمسة عشر، فموضوعات شعره انقسمت وفق الآتي:

أولًا: موضوعات ذات طابع دينيّ إسلاميّ:

يظهر الطّابع الإسلاميّ في جميع القصائد بشكلٍ أو بآخر، وثمّة من ذكر أنّ الفراهيّ جعل حديث النّبيّ– صلّى الله عليه وسلّم– الذي منه: "إنّ من الشّعر لحكمةً"[24] غايةً ومعيارًا لشاعريّته، وجعله نصب عينيه قبل ولوجه حلبة الشّعر والأدب، وهذا ما يفسّر بروز الطّابع الإسلاميّ المتمثّل في النّور والإيمان والحكمة والوعظ في شعره[25]، غير أنّ منها ما كان ظهوره فيها أشدّ من غيرها، ولنا أنْ نشعب ذلك في ثلاث شعب: أولاهما في تمجيد الله والقرآن، وذلك في قصيدتين؛ هما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(الاستعاذة) و(نور الحكمة والإيمان)، والشّعبة الثّانية في الوعظ والتّحذير من الدّنيا في ثلاث قصائد؛ هي: (غفلة الإنسان) و(تقلّب الأيّام بالنّاس) و(التّحذير من الدّنيا)، والشّعبة الثّالثة في الحديث عن (أشراط الساعة).

أ- القصائد التّمجيديّة:

مجّدَ الشّاعرُ الفراهيُّ اللهَ سبحانه وتعالى في مطلع ديوانه في قصيدته التي بدأها بالاستعاذة؛ يقول:[26]

أعـــوذُ باللهِ العظيمِ الأفضالْ الغافرِ الذَّنْبَ الشَّديدِ الأنكالْ
من همزاتِ النّفس ذاتِ الإيغالْ ونفثاتِ كـلِّ بـــاغٍ مُحتالْ

وقصيدته هذه جاءت في مستهلّ الدّيوان كأنّها حرزٌ وحصنٌ له من همَزاتِ النّفس ونفثاتِ الشّيطان كما يقول في مطلع قصيدته المذكور آنفًا، ولعلّ ترتيب القصائد على هذا النّحو من صنع الجامع؛ إذ ذُكر أنّ قصيدته في تهنئة العلّامة شبلي النّعمانيّ حين تلقّب بشمس العلماء كانت باكورة أعماله الشّعريّة[27]. أمّا تمجيد القرآن فجاء في القصيدة الأخرى (نور الحكمة والإيمان)، وفيها يقول:[28]

ما أبلغَ القرآنَ من داعٍ لو كان فيكمْ سامعٌ واعِ
كم حكمةٍ فيه وكم مَثَلٍ للنّصحِ والتّفكيرِ جمّاعِ

والشّاعر يذكر في هذه القصيدة فضل القرآن، ويقتبس من نور آيات النّور في قصيدته، ومنها:[29]

فمَثَلُ الإيمانَ يلمعُ في قلبٍ سليمٍ للتُّقى راعِ
مِثْلُ سراجٍ في زجاجٍ كمثـ ... ـلِ الكوكبِ الدّرّيِّ لمّاعِ
في وسْطِ مِشكاةٍ ويُوقدُ من زيتونةٍ في خيرِ إقطاعِ

بدا أنّ الشّاعر كان حريصًا على اختيار موضوعاته، ففي قصيدتيه السّابقتين كان تمجيده للّه وللقرآن، وسنعرض حسن اختياراته أيضًا في قصائده الوعظيّة.

ب-القصائد الوعظيّة:

كانت الدّعوة إلى سبيل الله المستقيم هاجسًا يراود الإمام الفراهيّ، فراح يدعو النّاس دعوة مشفق عليهم حريص على هدايتهم؛ يُذكّرهم بالموت والفناء، ويحذّرهم من تقلّبات الدّهر وسلوك مسالك الشّر من لهوٍ ولذّاتٍ وغفلةٍ عن الحساب مُستخدمًا أسلوب الاستفهام الإنكاريّ؛ يقول[30]:

أمَا للنّاسِ أحـلامُ أهمْ في السُّكْرِ نُوّامُ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهم وُرّادُ حوضِ المو ... تِ إصرامٌ فإصرامُ

وله قصيدة أخرى في الوعظ يذكر فيها تقلّب الأيّام بالنّاس بين الحلاوة والمرارة، والنّعيم والشّقاء، فيستحثّ العقول عبر أسلوب حِجاجيّ؛ لتتأمّل في حقيقة الحياة والموت؛ يقول[31]:

العيشُ إحلاءٌ وإمرارُ والدهرُ إقبالٌ وإدبارُ
بَينا الفتى يرفلُ في ثروةٍ إذْ نابه بؤسٌ وإقتارُ
وبينما المرءُ مقيمٌ إذا جشّمَهُ للبينِ أسفارُ
وكم رخيٍّ العيشِ في قصرِهِ يَفْغَمُهُ مِسكٌ وأزهارُ
إذْ رُفع النعشُ له بغتةً فضمّه تُربٌ وأحجارُ

وله قصيدةٌ لا تخرج عن إطار التّحذير من الدّنيا بأسلوب تقريريّ مباشر؛ يقول فيها:[32]

يا بـؤسَ للدّنيا شقيًّا سعيدُها فيا ويلَ منْ يسعى لها يستزيدُها
فلا يَرجِعَنْ إلّا إلى الضَّرِّ نفعُها ولا يَرجِعَنْ إلّا إلى الشُّحِّ جودُها
فسيّانِ عندي عَدْمُها ووجودُها وصِنوانِ عندي وصلُها وصُدُودُها

هكذا تجلّى اختيار الموضوعات لدى الشّاعر وتمازج مع اختيار الأساليب التي تنوّعت بين الإنشائيّة والحجاجيّة والتّقريريّة، والأساليب سنتوسّع في الحديث عنها في قسم الدّراسة البلاغيّة.

ج- قصيدة في الحديث عن أشراط السّاعة:

نظم الشّاعر قصيدةً في علامات السّاعة وأشراطها، ولعلّه لمس ممّا يحدث في زمانه شيئًا من تلك العلامات، ولا سيّما ما حدث للرّوم في الحرب العالميّة الأولى، فجعله بداية لعلامات تالية تتعلّق بأحاديث نبويّة عن الشّام والقدس؛ يقول:[33]

لقد لجَّ بالرّومِ إشطاطُها فتعدو إلى الهُلْك أشواطُها
وكم أهلكَ البغيُ من أمّةٍ وخيرُ الأمورِ لأوساطُها
فإنْ صعدَ الرّومُ ريبَ الدّهو ... رِ لن يعجزَ اللهَ إهباطُها
فقد خَطّ في زبرِ الأولي ... نَ أنْ تسقطَ الرّومُ خَطّاطُها
قُبيلَ القيامةِ ميعادُها فقد قرُبَ اليومَ إسقاطُها

نتائج البحث:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن تأثير القرآن الكريم في رجل مثل الفراهي ليس بالأمر الغريب، وهو الذي صرف وقته وعلمه في سبيل الدعوة والعلم، وفي تفسير القرآن الكريم وتأويله ووضعِ أصولٍ لهما، وفي دراسة بلاغته ونظامه، وقد كان ذلك الأثر واضحًا في شعره من جهة تركيبه الداخلي المتمثّل في اقتباسه من القرآن الكريم؛ سواء كان الاقتباس في تركيب قليل المفردات أو كثيرها أم في اختيار الكلمات التي انبنت عليها تراكيبه، وكان بين أن ينقل حرفيًّا وأن يتصرّف في ما ينقله أو يقتبسه، وظهر لنا أنه كان يحسن توظيف الاقتباسات في شعره، كما ظهر أنه أخلّ بشعرية كلامه حين أطال في الاقتباس، ولا سيّما الاقتباس من سورة النور لِمَا رأينا أن الإيجاز أبلغ من الإطناب في هذا المقام؛ إذ إن الإطناب مدعاة إلى التكلّف والتصنّع.

كان الفراهي على قلة قصائده ينوّع في اختيار موضوعاته، وبدا أنه لم يكن ينشغل كثيرًا في ذلك الاختيار، فجلّ قصائده في المناسبات، والمتأمّل لتلك الموضوعات يلمس تأثره بالقرآن وبالدين الإسلامي والدعوة إليه، فكأن شعره ثمرة ذلك كلّه، ويتجلّى أثر القرآن الكريم في الموضوعات العامة لشعر الإمام، كما يتجلّى في الموضوعات الفرعية؛ إذ كان يقفل جلّ قصائده بما يتداعى إلى ذاكرته من القرآن، كما يربط مفاصل قصائده بذلك.

The impact of the Quran in the poetry of the al-Farahi

Research problem:

The Indian subcontinent abounds with poets and writers who wrote in Arabic such as Harun bin Musa Al-Multani, Abu Atta Al-Sindhi and Masoud Al-Lahuri and Abdul Muqtad Al-Kindi Al-Dahlawi in the early time. Lately time, Abdul Hay al-Hasani al-Kanaw the father of Abu Al-Hassan al-Nadwi, the creative writer Faiyed al-Hassan Al-Saharfouri, Imam Al-Farahi and others.

Perhaps not a full volume is sufficient for an index that includes their names and easy translation for them. Despite this abundance and distinction that characterized many of their poetic experiences, their works did not have attention in our Arab world studies. Perhaps we didn't hear with their names who destiny by their knowledge and poetry. I

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

am not here to mention them or talk about their poetic experiences, but to talk about one side of Imam Al-Farahi's poetry that I read his books and accompanied him for many years. I have published some of them in a series to reviving his heritage which the Noble Quran effect on his poetry.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، تح: فيصل شكري، مطبعة جامعة دمشق، دمشق 1965.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزوينيّ، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجيّ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة السادسة، 1985م.
- جمهرة البلاغة: الإمام عبد الحميد الفراهيّ، دراسة وتحقيق: محمد خالد الرهاوي وعامر خليل الجراح، دار سنابل، إسطنبول، الطبعة الأولى، 2019م.
- ديوان امرئ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، د.ت.
- السنن الصغرى: البيهقي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى، 1989م.
- شعر الإمام عبد الحميد الفراهيّ، دراسة وتحقيق: محمد خالد الرهاوي وعامر خليل الجراح، دار سنابل، إسطنبول، الطبعة الأولى، 2019م.
- مباحث في اللسانيات: أحمد حساني، كلية الدراسات العربية والإسلامية، دبي، الطبعة الثانية، 2013م.
- مجلة الهند، المجلد السادس؛ الأعداد 1–4، والمجلد السابع؛ الأعداد 1–2، يناير – ديسمبر، 2017م.
  - الإمام عبد الحميد الفراهيّ مفسّرًا وأديبًا.
  - العلّامة عبد الحميد الفراهيّ وإسهامه في الشعر العربيّ.

الإحالات والهوامش:

[1] شعر الإمام عبد الحميد الفراهي ص15–16

[2] نفسه ص17

[3] انظر ترجمته لنفسه المنشورة في مجلة الهند ص46

[4] ترجمة الفراهي لنفسه في مجلة الهند ص٤٧

[5] شعر الإمام عبد الحميد الفراهي ص17

[6] مباحث في اللسانيات ص 76

[7] نفسه ص76

[8] الإيضاح في علوم البلاغة ص 575.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9] شعر الفراهي ص106
[10] نفسه ص118
[11] نفسه ص101-102
[12] نفسه ص102-103
[13] نفسه ص95
[14] نفسه ص98
[15] نفسه ص126
[16] نفسه ص128
[17] ديوان امرئ القيس ص18
[18] شعر الفراهي ص95
[19] نفسه ص118
[20] نفسه ص106
[21] صدر بتحقيقنا عن دار سنابل في إسطنبول، 2019م.
[22] شعر الفراهي ص127
[23] الإمام عبد الحميد الفراهيّ مفسّرًا وأديبًا: مجلّة الهند ص247-248
[24] انظر: السنن الصغرى للبيهقي 182/4 برقم 3369
[25] العلّامة عبد الحميد الفراهيّ وإسهامه في الشعر العربيّ: مجلّة الهند ص533
[26] شعر الفراهي ص95
[27] العلّامة عبد الحميد الفراهيّ وإسهامه في الشعر العربيّ: مجلّة الهند ص531
[28] شعر الفراهي ص101-102
[29] شعر الفراهي ص101-102
[30] نفسه ص97
[31] نفسه ص99
[32] نفسه ص132
[33] نفسه ص119

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com